فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هولاء قومك يسالونك السوا فلا تمل كل الميل عليهم فقال عليه السلام ماذا يسالونني
فقالوا ارفضنا وارفض ذكر الهتنا وندعك والهك فقال ارايتم ان اعطيتكم ما سالتم امعطيّ انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب
وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا ذلك وانطلق الملا منهم وانطلق اشراف قريش
من مجلس ابي طالب بعدما بكتهم رسول الله ان امشوا قائلين بعضهم لبعض امشوا واصبروا واثبتوا على الهتكم على عبادتها
فلا ينفعكم مكالمته وان هي المفسرة لان الانطلاق عن مجلس التقاول يشعر بالقول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع في القول
وامشوا من مشت المراة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية اي اجتمعوا وقرئ يمشون ان اصبروا وان هذا الشيء يراد ان هذا
الامر لشيء من ريب الزمان يراد بنا فلا مرد له وان هذا الذي يدعيه من التوحيد او يقصده من الرياسة والترفع على العرب
والعجم لشيء يتمنى او يريده كل احد وان دينكم لشيء يطلب ليوخذ منكم ويغلب عليه ما سمعنا بهذا بالذي يقوله في الملة
الاخرة في الملة التي ادركنا عليها اباءنا او في ملة عيسى التي هي اخر الملل فان النصارى يثلثون ويجوز ان يكون حالا من هذا
اي ما سمعنا من اهل الكتاب ولا الكهان بالتوحيد كائنا في الملة المترقبة ان هذا الا اختلاق كذب اختلقه أأنزل عليه
الذكر من بيننا انكار لاختصاصه بالوحي وهو مثلهم او ادون منهم في الشرف والرياسة كقولهم لولا نزل هذا القران على رجل
من القريتين عظيم وامثال ذلك دليل على ان مبدا تكذيبهم لم يكن الا الحسد وقصور النظر على الحطام الدنيوي وقرا قالون بمد
الاولى وتنوين الثانية وابو كذلك ابن كثير وابو عمرو واسمعيل الا انهم بقصرها بل هم في شك من ذكري من القران او الوحي لميلهم
الى التقليد واعراضهم عن الدليل وليس في عقيدتهم ما يبتون به من قولهم هذا ساحر كذاب ان هذا الا اختلاق بل لما يذوقوا
عذاب بل لم يذوقوا عذابي بعد فاذا ذاقوه زال شكهم والمعنى انهم لا يصدقون به حتى يمسهم العذاب فيلجيهم الى تصديقه
ام عندهم خزائن رحمة ربك بل اعندهم خزائن رحمته وفي تصرفهم حتى يصيبوا بها من شاؤا او يصرفوها عن من شاؤا فيتخيروا
للنبوة بعض صناديدهم والمعنى ان النبوة عطية من الله يتفضل بها على من يشاء من عباده لا مانع له فانه العزيز الغالب الذي
لا يغلب الوهاب الذي له ان يهب كل ما شاء لمن يشاء ثم رشح ذلك فقال ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما كانه لما انكر الوهاب
عليهم التصرف في نبوته بان ليس عندهم خزائن رحمته التي لا نهاية لها اردف ذلك بانه ليس لهم مدخل في امر هذا العالم الجسماني
الذي هو جزء يسير من خزائنه فمن اين لهم ان يتصرفوا فيها فليرتقوا في الاسباب جواب شرط محذوف اي ان كان لهم ذلك
فليصعدوا في المعارج التي يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا امر العالم فينزلون الوحي الى من يستصوبونه
وهو غاية التهكم بهم والسبب في الاصل هو الوصلة وقيل المراد بالاسباب السموات لانها اسباب الحوادث السفلية جند ما
هنالك مهزوم من الاحزاب ام هم جند من الكفار والمتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فمن اين لهم التدابير الالهية
والتصرف في الامور الربانية او فلا تكترث بما يقولون وما مزيدة للتعليل كقولك اكلت شيئا ما وقيل للتعظيم على الهزء وهو
لا يلايم ما بعده وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب لمثل هذا القول كذبت قبلهم قوم نوح وعاد
وفرعون ذو الاوتاد ذو الملك الثابت بالاوتاد كقوله ولقد غنوا فيها بانعم عيشة في ظل ملك ثابت الاوتاد ماخوذ من
ثبات البيت المطنب باوتاده او الجموع الكثيرة سموا بذلك لان بعضهم يشد بعضا كالوتد يشد البنا وقيل نصب اربع
سوار وكان يمد يدي المعذب ورجليه اليها ويضرب عليها اوتادا ويتركه حتى يموت وثمود وقوم لوط واصحاب
الايكة واصحاب الغيضة وهم قوم شعيب وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر ليكة اولئك الاحزاب يعني المتحزبين على الرسل

الذي



الذي جعل الجند المهزوم منهم ان كل الا كذب الرسل بيان لما اسند اليهم من التكذيب على الابهام مشتمل على انواع
من التاكيد ليكون تسجيلا على استحقاقهم للعذاب ولذلك رتب عليه فحق عقاب وهو اما مقابلة الجمع بالجمع او جعل
تكذيب الواحد منهم تكذيب جميعهم وما ينظر هولاء وما ينظر قومك او الاحزاب فانهم كالحضور لاستحضارهم
بالذكر او حضورهم في علم الله الا صيحة واحدة هي النفخة ما لها من فواق من توقف مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين
او رجوع وترداد فانه فيه ترجيع اللبن الى الضرع وقرا حمزة والكسائي بالضم وهما لغتان وقالوا ربنا عجل لنا قطنا
قسطنا من العذاب الذي توعدنا به او الجنة التي تعد للمومنين وهو من قطه اذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط
لانها قطعة من القرطاس وقد فسر بها اي عجل لنا صحيفة اعمالنا فننظر فيها قبل يوم الحساب استعجلوا ذلك استهزاء
اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود واذكر لهم قصته تعظيما للمعصية في اعينهم فانه مع علو شانه واختصاصه
بعظائم النعم والمكرمات لما اتى صغيرة نزل عن منزلته ووبخه الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تفطن فاستغفر
ربه واناب فما الظن بالكفرة واهل الطغيان او تذكر قصته وصن نفسك ان تزل فيلقاك ما لقيه من المعاتبة على
اهمال عنان نفسه ادنى اهمال ذا الايد ذا القوة يقال فلان ايد وذو ايد واد وايادٍ بمعنى انه اواب رجاع الى
مرضات الله وهو تعليل للايد دليل على ان المراد به القوة في الدين كان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل انا سخرنا
الجبال معه يسبحن من تفسيره ويسبحن حال وضع موضع مسبحات لاستحضار الحال الماضية والدلالة على تجدد
التسبيح حالا بعد حال بالعشي والاشراق ووقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس اي تضيء ويصفو شعاعها وهو
وقت الضحى واما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن ام هانئ انه عليه السلام صلى صلاة الضحى وقال
هذه صلوة الاشراق وعن ابن عباس ما عرفت صلوة الضحى الا بهذه الاية والطير محشورة اليه من كل جانب وانما لم يراع
المطابقة بين الحالين لان الحشر جملة ادل على القدرة منه مدرجا وقرئ والطير محشورة بالابتدا والخبر كل له اواب
كل واحد من الجبال والطير لاجل تسبيحه رجاع الى التسبيح والفرق بينه وبين ما قبله انه يدل على الموافقة في
التسبيح وهذا على المداومة عليها او كل منهما ومن داود مرجع لله التسبيح وشددنا ملكه وقويناه بالهيبة والنصرة
وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد للمبالغة وقيل ان رجلا ادعى بقرة على اخر وعجز عن البيان فاوحي اليه ان اقتل
المدعى عليه فاعلمه فقال صدقت اني قتلت اباه غيلة واخذت البقرة فعظمت لذلك هيبته واتيناه الحكمة النبوة
وكمال العلم واتقان العمل وفصل الخطاب وفصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل او الكلام الملخص الذي ينبه
المخاطب على المقصود من غير التباس يراعي فيه مظان الفصل والوصل والعطف والاستيناف والاضمار والاظهار
والحذف والتكرار ونحوها وانما سمي به اما بعد لانه يفصل المقصود عما سبق مقدمة له من الحمد والصلوة وقيل
هو الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع ممل كما جاء في وصف كلام الرسول صلى الله عليه وسلم
فصل لا نزر ولا هذر وهل اتاك نبا الخصم استفهام معناه التعجب والتشويق الى استماعه والخصم في
الاصل مصدر ولذلك اطلق للجمع اذ تسوروا المحراب اذ تصعدوا سور الغرفة تفعل من السور كتسنم من السنام
واذ متعلق بمحذوف اي نبا تحاكم الخصم اذ تسوروا او بالنبا على ان المراد به الواقع في عهد داود وان اسناد اتى اليه
على حذف مضاف اي قصة نبا الخصم او بالخصم لما فيه من معنى الفعل لا باتى لان اتيانه الرسول لم يكن حينئذ واذا

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 